

وكأنهم وجدوا الشعر - منذ اللحظة الأولى - أكثر مناسبة لبث حرّ الوجد . .  
ولهذا يندر أن نجد صوفيّاً من الرواد، لم يقل الشعر.

ومع أن البعض يرجع بأصول التصوف إلى أيام الصحابة، بل إلى أيام النبوة؛ ويستدلون على ذلك بأحوال الرسول ﷺ، وبأخلاق رجال الصدر الأول للإسلام. إلا أن الأكثر شيوعاً بين الباحثين، هو أن البدايات الحقيقية للتصوف كنمطٍ متفرّدٍ من التقرب إلى الله، كانت إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين. وهما القرنان اللذان ظهر فيهما الشعر الصوفي، في شكل أبيات متناثرة منسوبة لهذا الصوفي أو ذاك . . وعلى هذا؛ فإن بدء الشعر الصوفي، هو بدء التصوف.

ثم تدفق تيار التصوف، متوازياً مع تيار الشعر. حتى إذا جاء القرن الهجري السادس؛ فإذا بالشعر دعامةً أساسيةً للتعبير الصوفي، وإذا بصوفية لم يخلفوا إلا الأشعار - كابن الفارض وغيره - وإذا بالقصائد المطولة التي تعدّ أبياتها بالمشات، وإذا بكل المؤلفات الصوفية مملوءةً بالشعر.

وعلى هذا النحو، اتسع مجال الشعر الصوفي عند أهل الطريق، واتخذ في الآثار الصوفية مساراً متميّزاً، ظل حتى اليوم متواجداً بقوة عند المعاصرين من الصوفية . . أولئك الذين اتخذنا الشيخ إبراهيم حلبي القادريّ مثلاً عليهم .

ونخلص من هذه النقطة إلى القول بالتلازم التام بين التجربة الصوفية وترجمتها الشعرية، بحيث لا يفصل الشعر عن التصوف .